

العدد الثالث من نشرة الرواق تشرين ثان 2013

الرواق

بعض المعلومات والملاحظات والمُح من طاقم رُواق اللغة بالكلية

"تَعْلَمُوا الْعَرَبِيَّةَ، فَإِنَّهَا تَنْبَتُ الْعَقْلَ، وَتَزِيدُ فِي الْمَرْوَةِ"
من وصية عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

ما هي المنامة؟

على وزن المقامة فن شبيهه بالمقامة والرسالة، كرسالة الغفران للمعري، وقد ابتدع هذا الفن كاتب مغربي مغمور يدعى ركن الدين الوهراني (ت: 575 هـ). وهو أحد رجالات الأدب المنسيين .. عاش متنقلاً مرتحلاً بين الأمصار ، محبباً من عصره ساخراً من ناسه وعكس كل ذلك في أدبه الموغل في اللامعقول ، فكان من أبرع الأدباء وأشجعهم والمنامة نوع أدبي اعتمده اعتماداً جديداً، فعندي أنه تصوير كاريكاتوري يعتمد السخرية من الواقع الاجتماعي الذي يأكل قيمه السوس، وتشغله المسائل اليومية التي تبدو عابرة هدفها الإضحاك، ولكن فيها إشارات فكرية فلسفية وتلميحات مثقلة بالألم والأمل، ويتناول فئة المهمشين اجتماعياً، والصعاليك، وقاع المدينة- شخصيات واقعية جدا . كل ذلك بأسلوب يميل إلى خفة الروح والظرافة، فيه حلاوة وطلاوة، وأحلام كبيرة وانتصارات وانكسارات.
ما كل بيضاء شحمة، ولا كل سوداء فحمة.

وهي تشبه حديث المقاهي، وحديث عامة الناس البسطاء، وتسجيل لصور الواقع اليومي، هدفها الامتاع والمؤانسة والفائدة. ولذلك تراني أطلق عليها أحياناً اسماً آخر هو " النمنامة" من النميمة، لأنها تدخل في أدق تفاصيل حياة الشخصية وهمومها الانسانية، وتكون بلغة سلسة فيها تفصيحٌ للعامة وتسهيلٌ للفصحى ليحبها أبناء الشعب جميعاً. ولماذا أدعوها أنا المنامة لأنني أخرجها من اللاوعي، أو أكون فيها بين النوم واليقظة فتكون كأحلام اليقظة، ولأنها تشبه المقامة في استخدامها للأمثال والأشعار والطرائف التراثية. وقد راق لي هذا النوع الأدبي ، فأخذت أسطر المنامات تلو المنامات. والله المستعان الله المستعان، فقد سقط العشاء بنا على سرحان. وما كل بيضاء شحمة، ولا كل سوداء فحمة. فإذا أعجبتمك مناماتي أحببتم العودة إليها وحكايتها لأصدقائكم.

المنامة الأولى:

بعد الغداء في (بيت جدي)



ימת' أنا وصديق لي شطر طولكرم ننوى الغداء في (بيت جدي)، وقد أعجبنا اسمه أكثر من طعامه، وكنا سمعنا عنه من بعض الأصدقاء الذين يؤمنونه فراقنا الأمر، وبعد تناول الغداء، قررنا وقد صرنا قريبين من (الماسة في الحلويات الشرقية) أن نلتهم شيئاً من الكنافة الكرمية الناعمة المحلاة بالفسنق الحلبي. وذلك رغماً عن داء السكري اللعين الذي دبّ فينا سَفْلاً وعلواً وعضواً فعضوا. ولسان حالنا يقول: نموتُ وفي فمنا حلاوة خيرٌ من أن نموت وفي فمنا مرارة. فلما انتهينا من هذه المحنة الكنافية، قصدنا الطريق المؤدي الى الحاجز (المحسوم) الذي يفضي إلى مدينتنا، فكان أمامنا مشهدٌ مثيرٌ يبدو أنه يتكرر يومياً: طابورٌ من السيارات أمامنا متسمة في مكانها لا تتحرك، بل يتزايد عددها بقدم أعداد أخرى من السيدات السائقات، ومن الشبان الذين لا يطيقون صبراً، فيأخذون في المزاحمة والمدافعة حيث لا مجال لذلك مطلقاً. فنقول لنفسك: لقد وقع العشاء بنا على سرحان، أي جنباً لكي نتعشى، فإذا ذئبٌ بانتظارنا يريد أن يتعشى علينا، أو كما يقولون: هذي الأكلة مش بهذي القتلة. لكن ما العمل، ليس أمامنا إلا الصبر والانتظار.

بائع العطر

وسرعان ما يسعفك بائعو الأمور الصغيرة، التي يمسونها بأيديهم بدلاً من دُلّ السؤال، منهم الطفل الصغير ومنهم الشيخ المجرب، ومنهم الشاب الملاعب، ولكنهم جميعاً يشتركون في نفس الخاصية، فيريدون تحكيك في قصة حياتهم ومصيرهم، وأنهم لم يرزقوا اليوم شروى نقيراً، وتجد نفسك، وأنت المستعجل فارغ الصبر، مضطراً إلى سماع أحاديثهم وشكواهم، واعطائهم ولو شيئاً واحداً. ولكن الأمور تتطور فيأتيك بائع العطور، وما لنا وللعطور في هذا المقام والوقت العصيب، ولكنه يملك كل الوقت، ونحن نملك كل الأعصاب، فيأخذ في مناغاتنا والتلحين على أعصابنا، وعندما يجد طراوة في نظراتي يتوجه إلى متحنناً:

بحياة أمك خذ ثلاث زجاجات عطر فاخر بمئة شاقل، ويرش عليك قليلاً من واحدة يظن أنها من العطر الفاخر، فإذا هي تشبه الدواء، فنقول له على سبيل المداعبة، ولقتل الانتظار في الدور إلى أن تصل عند الحاجز: إذا كان لديك عطر باكو رابان الفرنساوي فإني أخذ كل ما عندك، فيقول لي والله يا أستاذ هذا أفضل منه، جرّبه، طيب خذ خمس زجاجات بمئة شاقل، طيب والله ما رزقتُ بشيء اليوم خذ كل ما في هذا الظرف بمئة شاقل، ثم ما تلبث أن تسمع بائع الزعتر المفروط يقول: مفروط يا زعتر يا ستات، مفروط وجاهز ونظيف والبصل الأخضر خذ وتدلل وفرّح قلب زوجتك! ثم يقبل إليك شخص له لحية يبدو رزيناً يحمل مجموعة من السروج والمصابيح الصغيرة فيراك وقد نفذ صبرك من الانتظار والسيارات لا تتزحزح من مكانها، فيحاول تهوين الأمر قائلاً باللغة العبرية: صبرك يا ابو العم فسوف تتغير المشميرت" بعد قليل وتتغير الدورية فيأتي جنود وجنديات أرحم من هذه المروكية



المسترجلة وصديقتها الأثيوبية . ولكنه لاحظ امتعاضي من ملاحظته ، فتقدم نحو سيارة سيدة تجلس بجانبها سيدة أخرى صبغت شعرها باللون الأصفر ، وسيارتها أرقى بكثير من سيارتي (بي ، أم) ، فقال لها: ما قولك بهذا السراج الجميل ، سراج علاء الدين؟ واقترب بائع القهوة السادة فصب لكل واحدة منهن فنجاناً دون أن تطلباً منه ، وبالطبع فقد نقدتاه خمسة شواقل فمضى مهلاً مكبراً الى سيارة أخرى. ثم ما يلبث أن يمر بنا بائع كتب وقصص للأطفال ، فأقول له أطفالاً شبوا عن الطوق ، ولكي يبدو مثقفاً فليس يحسن أن يبدو كالحمار يحمل اسفراً ، قال جملة غريبة بدا فيها فيلسوفاً يفلسف الأمور: سبحان الله أنتم تريدون أن تطيروا وتسبقوا الزمن حتى تقطعوا (المحسوم) الحاجز ، بينما نحن نريد أن نظلوا منقطعين هنا وليس نحسب حساباً للزمن ، لأننا أصلاً غير موجودين في الزمن ، ولكن ماذا يمكننا أن نفعل سوى أن نقتل الزمن في هذا المكان حيث يمر الحامض والخلو من أماننا ، فنتماهى ونضيع في حاضرنا ذاهلين عن مستقبلنا ، لا نملك إلا أن نبكي ولكن بصمت . ولو يعرف هذا الشيخ السبب الذي يجعلني أتوق بفارغ الصبر لعبور الحاجز ، إنه وللأسف الحلقة التركبية (العشق الممنوع) التي تتحلل كل العائلة لمشاهدتها ، وتكون موضوع حديث في غرفة المعلمين في اليوم التالي ، فأخاف أن تفوتني . فمن الذي لا يعيش في هذا الزمن يا حج يا استاذ يا (أبو العم)؟

وبعد ، فقد جعلتني هذه المنامة الواقعية أقسم أن لا أعود الى طولكرم بعد اليوم . وقلت شعراً فيها يناسبها:

تجنب طولكرم ولا تأتها	كنافتها ليست الزاكية
ونابلس يمم شطرها ، لا تخف	ففيها الحمام في الساقية
فمن آل طوقان هب الهوى	كما هب ريح على البادية
تمايلن من طرب مئمل من	عذب شعر قلته في غانية
(يسلبن ذا اللب حتى لا حراك به	وهن أضعف خلق الله إنسانا)؟

تأليف: الدكتور سامي إدريس تحرير: الدكتور فخري بصول